

الجاهلون في غزّة: الإعلام الغربي والصراع العربي-الإسرائيلي

جون لويد يخوض في تاريخ وضعف تغطية الإعلام الغربي ويقترح طريقاً يهكن أن يحسّنها.



أن تكتب أو تثبّ عن إسرائيل يعني أن تستدعي النزاعات. [البرنامج](#) الذي قدّمته في سبتمبر/أيلول 2014 للإذاعة البي بي سي، عن تغطية الإعلام الغربي للشؤون الإسرائيلية منذ الحرب العالمية الثانية، تلقّى هديحاً من البعض، وإدانات من البعض الآخر - معظم البعض الآخر يعرفون أنفسهم كأبناء الشتات اليهودي.

إسرائيل والمجتمع المهدي في الشتات هما من النشدّ صلابةً وجدلاً في العالم: محرّر البي بي سي للشرق الأوسط، جيرمي باون، قال في البرنامج إن الشكاوي التي تلقاها حول التقارير كانت «99% من يهود. الشكاوي النادرة التي أتت من جانب فلسطيني أتت من مكتب ياسر عرفات، وهددت بعهل قانوني (لم يحصل). ليس من اللطيف أن يقال عنك تعادي السامية: مراسل غير معروف كتب أن «جون لويد انحدر إلى ذلك البرنامج ليس ضد إسرائيل فقط بل ضد اليهود إجمالاً، وبالتالي خلق عدراً للعنف العربي والذي أراه ينزلق من معاداة الصهيونية إلى معاداة السامية». ليس من اللطيف لئن ابني سعيد بادعاء اليهودية (أهم يهودية) وأنا سعيد بذلك. ولكن الرهانات في إسرائيل، وفي الشتات وما حوله، عالية، لذا ستكون مواجهة الحساسية المفرطة ومحتومة.

هذا يتغير: رغم أن معظم الدول العربية تتحكم بالإعلام بشكل متشدّد، يشهد المجتمع العربي نقاشاً أكبر بكثير مما سبق. في [عهد صحفي](#) نُشر مؤخراً في النيويورك تايمز، اقتبس توماس فريدمان عن الكاتبة الشيعية اللبنانية حنين غدار من مقال لها من أغسطس/آب الماضي في موقع ناو لبيانون: «أجهزة الإعلام وأنظمة التعليم عندنا عرضة للوحش الذي ساعدنا في خلقه. نحتاج لتعليم أبنائنا أن يتعلّموا من أخطائنا لا أن يتفّنوا في الإنكار. حين يبدأ معلّمونا وإعلاميوننا فهم أهمية الحقوق الفردية، ويعترفون بأننا فشلنا في أن نكون مواطنين، هنا يمكننا النهل بالحرية حتى لو كانت تتحقق ببطء».

وجهات النظر الغربية حول تغطية الشأن الإسرائيلي تظهر طبيعة انفعالية للنقاش. النقاد الجذريون لإسرائيل ومعظمهم لا يهتدون بجدارهم بانتمائهم بمعاداة السامية، وبعضهم أصلاً يهوداً يرون التغطية مؤيدة لإسرائيل بشكل فادح، وفي بعض الأحيان بشكل فاضح. النقلية من معادي السامية فعلاً يحدون استعجال سردة أن اليهود يتحكمون بالإعلام في العالم. بشكل عام جداً، منشورات اليسار الديمقراطي أهمل للنقد وإن بدرجات متفاوتة، بينما منشورات اليمين الديمقراطي أهمل للدعم.

في حالة واحدة، حالة مجموعة سبرينغر القوية في ألمانيا والتي تقوم بإنتاج أشهر جريدة في ألمانيا وهي جريدة بيلد فإن دعم إسرائيل هو جزء من رسالة الشركة رسمياً، وعلى جميع الصحفيين التوقيع عليها. الهبدأ الثاني من الهبدائ التحريرية الخمسة لهجوعه سبرينغر تقول إن رسالة منشورتها هي «دعم الصلح بين اليهود والنهلمان ودعم الحقوق الحيوية لشعب إسرائيل».

النقل وضوحاً هو أن هذا انقلاب حصل مباشرة بعد تأسيس دولة إسرائيل. منذ خمسينات حتى سبعينات القرن الماضي، رأى اليساريون في إسرائيل هجوعاً اشتراكياً، ولا سيما هجوعات الكيبوتس التي تُدار بشكل تعاوني وتقوم على أسس مساواتية صارمة وذلك في قلب الاقتصاد الإسرائيلي، مع حزب عمال هو الحاكم، بينما العديد من منشورات اليمين كانت متشككة، بل حتى عدوانية.

أرض الهعركة الحقيقية، على النقل في بريطانيا، هي الإذاعات، وهي حتى الآن أكثر أشكال الأخبار شيوعاً. ومن بينها هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) الطاغية الحضور والتابعة للقطاع العام. تغطيتها للصراع المسلح في غزة أيام أغسطس/آب وسبتمبر/أيلول 2014 توت وتابعتها عن قرب وانتقادها بشكل مرير، ولا سيما ضمن هجوعات الشتات. من الههم فهم بعض أسباب ذلك.

«الوسيط هو الرسالة»: الاقتباس النشر لهارشال وكلوهان يهكن تفسيره بعدة طرق. أنا أفسره هنا كإشارة إلى أن التلفزيون يرفع رصيد دراهم المشهدية والبصرية، إنه يعطيك، كهشاهد، «الصور التي تخبرك بالقصة» أكثر مما كها حين تقرأ مقالاً في جريدة. يسمح للقارئ بتشكيل الصور بناءً على النص.

تغطية البي بي سي، كتغطيات معظم الإعلام المرئي، رفعت رصيد دراهم القتلى والجرحي الهنديين في غزة، خصوصاً الأطفال والنساء. تقديرات الأمم المتحدة رفعت القتلى الغزويين إلى أكثر من 2000. وبها أن القتلى الإسرائيليين في الهعركة (معظمهم جنود من جيش الدفاع الإسرائيلي) كانوا أقل من 70، كان مؤكداً عدم التكافؤ في الخسائر.

شكاوى الإسرائيليين والشتات تعاملت بشكل أساسي ضمن فكرة أن حواس منظمة دكتاتورية، وهي تأمر بالطاعة عبر استعجال العنف. إطلاقها الرصاص على حوالي 20 شاباً قيل إنهم مخبرون لجيش الدفاع الإسرائيلي كان مشهوداً؛ كان توثيق قتل المتظاهرين ضد حواس أضعف، وكذلك قمع المعارضين وحظر التجول المفروض للإبقاء الناس في منازلهم، حتى حين يتم إعلان هذه الهنازل من قبل الإسرائيليين هدفاً لبرنامجهم. مشاهدتي لنشرات أخبار البي بي سي حول الهعركة اقتربت من إعطاء مصداقية لتلك النظرة لكن الشهادة المتقطعة ليست دليلاً بأي حال من الأحوال.

الهقاربة في برنامج في البي بي سي كان متأثرة أكثر بكتاب صدر مؤخراً، الأرض الموعودة ل آري شافيت، وهو مهلق للصحيفة اليومية الإسرائيلية هارتز. شافيت يعرض أساتين. الأولى، وهي الأعظم بها لا يقاس، كانت الهولوكوست وحاجة يهود أوروبا الذين نجوا لإيجاد أرض يهكن الدفاع عنها: الهأساة الأخرى كانت تهجير 700,000 فلسطيني على يد اليهود القاهمين على هدى السنوات في الأربعينات والخمسينات، وهو ما يسويه الفلسطينيون النكبة.

الحدثان الهانلان هذان يشكّلان أساس السرديتين الإسرائيلية والفلسطينية للصراع: كلاهما يطالب التغطية الإعلامية بجعل سياقه جزءاً من القصة. لكنها نادراً ما تكون كذلك في أخبار الإذاعة وتقارير الصحف، إلا بشكل مستعجل. رد العديد من الصحفيين كان نفض أيديهم والقول إن ذلك مستحيل. أنا أقل اقتناعاً بذلك: أنا أوّهن، وهذا سيرضي البعض على النقل بين الهعترضين. أن ذلك الجزء من التغطية الذي يوتق انفجاراً هدياً بدون تعليق كلامي هو الذي يشوم. من الصعب إدخال توثيل هلائم لسبعين سنة من التاريخ في أخبار يومية، لكن من مسؤولة الصحفي أن يستهر في الهحاولة.

جون لويد باحث زميل رئيسي في معهد رويترز لدراسات الصحافة في جامعة أوكسفورد، ومحرر مساهم في الفايننشيل تايمز.

منشور بتاريخ أكتوبر 10, 2014